



جلالة الشعب

القرلة: سرقس ٦: ١٤-٢٩؛ لوقا ١٣: ٣١ و ٣٢؛ لوقا ٢٣: ٨ و ٩.

التاريخ: ٢٧/١٢/١٩٨١

«فَسَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ، لِأَنَّ اسْمَهُ صَارَ مَشْهُورًا. وَقَالَ: إِنَّ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانَ قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَلِذَلِكَ تُعْمَلُ بِهِ الْقُوَّاتُ. قَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُ إِبِلِيَّا. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُ نَبِيٌّ أَوْ كَأَحَدِ الْأَنْبِيَاءِ. وَلَكِنْ لَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ قَالَ: هَذَا هُوَ يُوْحَنَّا الَّذِي قَطَعْتُ أَنَا رَأْسَهُ. إِنَّهُ قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ! لِأَنَّ هِيرُودُسَ نَفْسَهُ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ وَأَمْسَكَ يُوْحَنَّا وَأَوْثَقَهُ فِي السَّجْنِ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلِبُّسَ أَخِيهِ، إِذْ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا. لِأَنَّ يُوْحَنَّا كَانَ يَقُولُ لِهِيرُودُسَ: لَا يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةٌ أَخِيكَ فَحَنَقَتْ هِيرُودِيَّا عَلَيْهِ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَقْتُلَهُ وَلَمْ تَقْدِرْ، لِأَنَّ هِيرُودُسَ كَانَ يَهَابُ يُوْحَنَّا عَالِمًا أَنَّهُ رَجُلٌ بَارٌّ وَقَدِيسٌ، وَكَانَ يَحْفَظُهُ. وَإِذْ سَمِعَهُ، فَعَلَّ كَثِيرًا، وَسَمِعَهُ بِسُرُورٍ. وَإِذْ كَانَ يَوْمَ مُوَاظِقٍ، لَمَّا صَنَعَ هِيرُودُسُ فِي مَوْلِدِهِ عَشَاءً لِعُظَمَائِهِ وَقُوَّادِ الْأُلُوفِ وَوُجُوهِ الْجَلِيلِ، دَخَلَتْ ابْنَةُ هِيرُودِيَّا وَرَقَصَتْ، فَسَرَّتْ هِيرُودُسَ وَالْمُتَكِنِينَ مَعَهُ. فَقَالَ الْمَلِكُ لِلصَّبِيَّةِ: مَهْمَا أَرَدْتَ أَطْلُبِي مِنِّي فَأَعْطِيكَ. وَأَقْسَمَ لَهَا أَنْ مَهْمَا طَلَبْتَ مِنِّي لِأَعْطِيَنَّكَ حَتَّى نِصْفَ مَمْلَكَتِي. فَخَرَجَتْ



وَقَالَتْ لِأَمَّهَا: مَاذَا أَطْلُبُ؟ فَقَالَتْ: رَأْسَ يُوْحَنَا الْمَعْمَدَانَ. فَدَخَلَتْ
لِلوَقْتِ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْمَلِكِ وَطَلَبَتْ قَائِلَةً: أُرِيدُ أَنْ تُعْطِيَنِي حَالًا رَأْسَ يُوْحَنَا
الْمَعْمَدَانَ عَلَى طَبَقٍ. فَحَزَنَ الْمَلِكُ جَدًّا. وَلَا جُلَّ الْأَقْسَامِ وَالْمُتَكَبِّرِينَ لَمْ يُرِدْ
أَنْ يَرُدَّهَا. فَلِلوَقْتِ أَرْسَلَ الْمَلِكُ سَيْفًا وَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِرَأْسِهِ. فَمَضَى وَقَطَعَ
رَأْسَهُ فِي السَّجْنِ. وَأَتَى بِرَأْسِهِ عَلَى طَبَقٍ وَأَعْطَاهُ لِلصَّبِيَّةِ، وَالصَّبِيَّةُ أَعْطَتْهُ
لِأَمَّهَا. وَمَا سَمِعَ تَلَامِيذُهُ، جَاءُوا وَرَفَعُوا جُثَّتَهُ وَوَضَعُوهَا فِي قَبْرِ.

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَقَدَّمَ بَعْضُ الْفَرِيسِيِّينَ قَائِلِينَ لَهُ: أَخْرِجْ وَاذْهَبْ
مِنْ هَهُنَا، لِأَنَّ هِيرُودُسَ يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَكَ. فَقَالَ لَهُمْ: امْضُوا وَقُولُوا
لِهَذَا الثَّعْلَبِ: هَا أَنَا أَخْرِجُ شَيَاطِينَ، وَأَشْفِي الْيَوْمَ وَغَدًا، وَفِي الْيَوْمِ
الثَّالِثِ أَكْمَلُ.

وَأَمَّا هِيرُودُسُ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ فَرِحَ جَدًّا، لِأَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ مِنْ زَمَانٍ
طَوِيلٍ أَنْ يَرَاهُ، لِسَمَاعِهِ عَنْهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً، وَتَرَجَّى أَنْ يَرَى آيَةً تُصْنَعُ مِنْهُ.
وَسَأَلَهُ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ. «

هيرودس رئيس ربيع على الجليل لُقّب نفسه بالملك. هو ابن الملك هيرودس الكبير، ابن السفاح الذي قتل أطفال بيت لحم، والذي لم يتردد في قتل أخصائه وزوجاته وأولاده، حفاظاً على مملكته. وهيرودس الابن الذي لُقّب نفسه بالملك، يتخلّق بأخلاق أبيه. هو خليع وسفّاح كأبيه، ولكنه ثعلب. وقد تتطلّب السياسية كما يظنّ البعض ثعلبةً، والغاية تبرّر الوسيلة. أمّا بالنسبة لعلاقة الإنسان بالله، فلا يصحّ أن يكون جلالة الملك ثعلباً. الثعلب جبان، متقلّب، ومزاجي، لا يتخذ مواقف جريئة وبطولية، لأجل ذلك لُقّبهُ يسوع بالثعلب.

ومن خلال هذه القصة التي وردت في إنجيل مرقس، نستطيع أن نفهم لماذا لُقّب هيرودس بالثعلب. فهو منذ أن استولى على ربيع الجليل بدأ يحسّن وضعه الاجتماعي. فبدأ بالعمران والإصلاح الزراعي، ثم انتهى به المطاف لبناء قصر منيف. ولكننا نعلم، إن كنّا مُخْلِصين، أنّ هذه كلها لا تُشبع قلب الإنسان. وكم من أناس يخفون تعاستهم وراء ممتلكاتهم وإنجازاتهم. فالإنسان من دون يسوع، هو إنسان شقي وتعس. شعر هيرودس بأنّ الحياة أكثر من أمور مادية، وعرف أنه يوجد حياة بعد الموت، وأنّ الإنسان مرّكب من جسد يأكل ويشرب وينام على الأسرة الوثيرة، وبذات الوقت هو روح، لا يمكن لها أن تفرح وتشبع بهذه الأمور. وسمع عن يوحنا المعمدان.

لا يلبس يوحنا المعمدان لباساً كما يلبس جلالة الملك، لا يتمتّع بالآكل التي يتمتّع بها الملك. هو يلبس منطقة من جلد على حقويه ويأكل جراداً وعسلأً برياً. إلا انه يتمتّع بنشاط روحي وحيوية روحية، وسعادة تفوق



سعادة الأمراء والملوك، فدعاه هيرودس طالباً إليه أن يخبره عن سرّ هذه الحياة السعيدة. ويأتي يوحنا ويخبره برسالته: «أنا صوتٌ صارخٌ في البرية قوّموا طريق الرب» (يوحنا ١: ٢٣). ويخبره عن الرب يسوع، «حَمَلَ اللهُ الذي يرفع خطية العالم» (يوحنا ١: ٢٩). هو الذي يأتي من فوق، «والذي يأتي من فوق هو فوق الجميع» (يوحنا ٣: ٣١). ويخبره عن شخصية يسوع وفداء يسوع ومعاملات يسوع. وكان هيرودس «يسمعه بسرور» (مرقس ٦: ٢٠). فعلاً هذا كلام جميل يُثلج الصدر، كلام عن الخلاص والأبدية والأعماج السماوية، فكان يستدعيه باستمرار. وعندما كانت تتراكم عليه المشاكل والمهمّات، ويشعر بالتعب والإنزعاج، كان يستدعي يوحنا ليسمع منه عن يسوع. وربما وصل إلى وقت صدق هذه الرسالة، وتمنّى لو يتبنّى هذه الرسالة، فيحصل على الرجاء الذي حصل عليه يوحنا، ويتمتّع بذات الفرح والسرور والتعزية.

جميل أن نسمع عن يسوع بسرور، ولكن الأجل أن نقبل يسوع. أن يدخل يسوع ليس إلى قصورنا وإلى آذاننا فحسب، بل أن يدخل إلى قلوبنا. فلا نتبنّى مجرد رسالة، بل نقبل مخلصاً. وعندما يدخل يسوع إلى الحياة يدخل إلى القلب، ويغيّر الأفراح والمباهج والمسرات، فتصبح كلها روحية.

أتهمت الكنيسة الأولى في يوم الخمسين بأنها تعاقر الخمرة. واستهزأ الناس بالمؤمنين قائلين: «إنهم قد امتلأوا سلافة» (أعمال ٢: ١٣). لكن بطرس الرسول، «رفع صوته وقال لهم: هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون... بل هذا ما قيل بيوئيل النبي... إني أسكب من روحي على كل

بشر» (أعمال ٢: ١٤ و ١٥). هؤلاء القوم امتلأوا من الروح القدس، فانطلقت ألسنتهم بالشكر والحمد والتسبيح. أفراحهم ومسرّاتهم ليست أرضية بل سماوية.

ولأن هيرودس لم يتبنَّ هذه الرسالة بل اكتفى بالسمع، دخلت هيروديا! لم يفتح القلب للمسيح فكان الباب جاهزاً لدخول هيروديا. لكن عندما يدخل يسوع إلى القلب، فلا مجال بعد ذلك لدخول هيروديا، أو ابنة هيروديا إلى الحياة. دخلت هيروديا فدخلت الخطية إلى القصر، وأصبح هنالك انفصام في الشخصية، إمّا يسوع وإمّا هيروديا. لماذا التعرّيج بين الفرقتين. الرب لا يطيق الائتم والإعتكاف. إمّا أن نكون مع الرب أو على الرب.

دخلت هيروديا فرفع يوحنا صوته عاليًا: «لا يحلّ أن تكون لك امرأة أخيك» (مرقس ٦: ١٨). يا جلالة الثعلب، يا من تسمع كلمة الرب بسرور، كيف تدلّل الخطية، وتحتفظ بها في بيتك. لا يمكنك أن تخدع نفسك أو تخدع الرب. وهذا أزعج هيروديا فحنقت على يوحنا. لا يمكننا أن نوفّق بين الخطية وحياة التقوى، فالخطية لا ترضى بذلك، وتكون أوّل المعترضين علينا. لذلك نرى هيروديا تحنق على يوحنا وتسعى لكي تتخلّص منه، قبل أن يتخلّص منها.

يوجد حرب بين يسوع وبين الخطية. يسوع يريد أن يتخلّص من الخطية في حياتنا، والخطية تريد أن تتخلّص من يسوع في حياتنا. وهذه الحرب مستمرة. يسوع يكره الخطية، ويحنق على الخطية، والخطية تكره



يسوع، والخطاة يكرهون يسوع. يقول الكتاب المقدس، إنه «في الأيام الأخيرة يكونون محبين للذات دون محبة الله» (٢ تيموثاوس ٣: ٢).

بماذا كان يوحنا ينادي، وما هي رسالته؟ إنها رسالة التوبة عن الخطية والرجوع إلى الرب. وما هو موقفك يا جلالة الثعلب؟ أنت تحفظ يوحنا عندك وتسمعه بسرور، محاولاً أن تبقيه تحت سلطانك، ظناً منك أنه سيخفف لهجته. لكن يوحنا كان ينادي بأعلى صوته من دون خوف أو وجل: «الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع» (يوحنا ٣: ٣١). و«فوق العالي (أيها الملك) عالياً يلاحظ والأعلى فوقهما» (جامعة ٨: ٥). قانون الله قبل قانونك، وسلطان الله فوق سلطانك. هل نحكم على الخطية بجرأة وجسارة، في حياتنا أولاً ثم في حياة الآخرين؟ حذارٍ من المساومة والتساهل مع الخطية ومع حق الله.

وصدر الأمر بالسجن على يوحنا؛ فليكن. هو ذهب إلى السجن وهيروديا أخذت مجدها. ولكنها لن يهدأ لها بال حتى تتخلص من يوحنا نهائياً. «وإذ كان يوم موافق» (مرقس ٦: ٢١)، أي عندما سنحت الفرصة. عندما نكون في أجواء الخطية بعيداً عن الأجواء الروحية وكلمة الله، تستطيع الخطية أن تنفذ إلى القلب وتنفذ المؤامرة. وهذا اليوم كان عيد ميلاد جلالة الثعلب، حين جمع كل عظمائه، ودارت الخمرة وعلت الكؤوس، واختلط الحابل بالنابل، فضاعت المبادئ والأخلاق، وحلّ محلها الانحطاط والميوعة، «فدخلت ابنة هيروديا ورقصت» (مرقس ٦: ٢٢). رقصة خاصة بالمناسبة، «فسرّت هيرودس» (مرقس ٦: ٢٢). أيها الثعلب، أفسرّ بالكلام عن يسوع، وفسرّ برقص ابنة هيروديا! وتحت

وطأة الخمرة يقول للصبيّة: «مهما أردتِ اطلبي مني فأعطيك... حتى نصف مملكتي» (مرقس ٦: ٢٢ و ٢٣). يا لك من ثعلب مزاجي! تُحمَل بالأجواء والظروف. تَحْمَسَ وتَحَمَّسَ، وظنّ أنه يملك كل الدنيا، ويقول: «مهما أردتِ فأعطيك». وماذا تملك أيها الملك المخادع. فأنت لست ملكاً بل أنت مجرد وكيل، «رئيس رُبعٍ على الجليل» (لوقا ٣: ١).

ألا يتصرّف الإنسان بحياته وجسده ومستقبله كما يحلو له، وكأنه يملك الكل؟ ويتناسى أنه مجرد وكيل على ما أنعم به الله عليه. لذا فالإنسان مسؤول عن كل كلمة يتفوّه بها، وكل تصرّف يقوم به.

وحيكت المؤامرة... وطلبت ابنة هيروديا رأس يوحنا المعمدان. وهل رأس يوحنا المعمدان يساوي نصف المملكة التي تدّعيها؟ الحقيقة أنّ الرأس الذي يوجد فيه لسان يوحنا الذي يتكلم عن يسوع، ويقدم الحق، ويوبّخ الخطية، يساوي ممالك العالم جمعاء. لقد أدركت هيروديا أنّه لو بقي يوحنا المعمدان حيّاً، ستخسر ليس نصف المملكة، بل المملكة كلها. فأرادت أن تتخلّص من يوحنا ومن يسوعه.

فدخلت ابنة هيروديا إلى الملك بعد أن استشارت أمها، وطلبت أمام الجميع، رأس يوحنا المعمدان على طبق. ولم يشأ هيرودس لأجل الأقسام والمتكئين أن يردّها، فطلب من السيّاف أن يمضي إلى السجن ويأتي برأس يوحنا المعمدان. حزن الملك جداً، وماذا استفاد يوحنا من حزن الملك؟ نفعل الخطية ونحزن، وماذا يستفيد الرب من حزننا؟ فاضل وقارن، وإذا بالأقسام والمتكئين أهمّ من يوحنا. يقول يسوع عن



يوحنا المعمدان: «الحق أقول لكم، لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان» (متى ١١: ١١). «لأنه كان عظيمًا أمام الرب... ويتقدم أمامه» (لوقا ١: ١٥ و ١٧)، «ويشهد له» (يوحنا ١: ٣٢ و ٣٤). يسوعنا أعظم من الكل، وخلصنا أثنى من أي شيء في هذه الدنيا. وموقفك من الرب يسوع وخلصه أمر مهم جدًا.

أنت يا هيرودس لست مقيّدًا بأقسام أمام مؤامرة عليك. أنت تستطيع الآن إن كنت فعلاً جلاله الملك، الأمر والنهي، أن تعلن أمام الوجوه والعظماء أنّ هذه مؤامرة من هيروديا كي تحتل قلبك، وتحتل المملكة، وتدخل الخطية إلى هذا المكان. يوحنا رجل «بار وقديس» كما تعلم (مرقس ٦: ٢٠)، ولكن هذه المرأة هي خليعة ونجسة، ومن يجب أن يُقطع رأسه هو هيروديا وليس يوحنا. هكذا يكون موقف الرجال يا جلاله الثعلب الجبان.

وأُتي برأس يوحنا المعمدان على طبق، وقُدّم هدية إلى هيروديا. ذبحته هذه المرأة من الوريد إلى الوريد. ويقول أحدهم: أنه ما إن وصل الرأس، حتى مدّت هيروديا يدها وسحبت لسانه. هذا اللسان الذي ما برح يوبّخها على خطيتها، ويقصّ مضجعها، ويهدّد موقعها. والآن بإمكانها أن تفعل الخطية من دون وازع ولا رادع. الآن يا هيرودس خلا لنا الجو، لكي نعيش على هوانا ونتمتع بمباهج الحياة.

وهل تظنون أنّ هيرودس نعيم بالراحة؟ كلا البتّة. فعندما سمع بخبر يسوع، «قال إنّ يوحنا المعمدان قد قام من الأموات لذلك تُعمل به

القَوَات ... هذا هو يوحنا الذي قطعْتُ أنا رأسه» (مرقس ٦: ١٤ و ١٦).
لا نتوهم أننا نستطيع أن نُسكِت صوت الله ونرتاح منه. بل كان لا
يبارحه هذا الصوت قائلاً له: أنت مجرم، أنت ثعلب، أنت جبان. أنت
قضيت على صوت الله في حياتك بيدك.

وفي آخر فرصة تقابل فيها مع يسوع، «ترجى أن يرى آية تُصنع
منه. وسأله بكلام كثير فلم يُجبه بشيء» (لوقا ٢٣: ٨ و ٩). وهل
يوجد مصيبة تضاهي هذه المصيبة، أن يُغلق الفم الذي قيل عنه:
«لم يتكلم قطَّ إنسان هكذا مثل هذا الإنسان؟» (يوحنا ٧: ٤٦).
«وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه»
(لوقا ٤: ٢٢). والآن هيرودس يقف أمام صرح النعمة وخزان النعمة،
وإذا الباب مغلق. أنت أسكتت صوتي، أنت أغلقت فمي، أنت كتفت
يدي، لذلك لا أستطيع أن أفعل معك شيئاً. أنت مرفوض يا جلالة
الثعلب. أغلق باب النعمة وانتهت الفرصة إلى الأبد.

المفاضلة بين يديك، ما بين يسوع وما بين الخطية. أنت تقرّر مصيرك
بنفسك. إمّا أن تحتفظ بيسوع في القصر، وفي الحياة، وإمّا أن تحتفظ
بهيروديا. انظر إلى النهاية. لا تظنّ أنّ التمتع بالخطية لوقت قصير هو
نعمة وبركة، بل هو لعنة ومصيبة. اقض على الخطية قبل أن تقضي هي
عليك. افتح قلبك ليسوع حتى يدخل ويتربّع على عرش حياتك.